

نهاية الزمن الغنائي الجميل ب نهاية رواده

بقلم وائل قاقيش

لا أزال أذكر أيام السبعينات من القرن الماضي والتي عشقت فيها أذناي إلى سماع الأغاني الشائعة في ذلك الوقت والتي كان الراديو يحرص على اعادتها والتلفزيون على عرضها مسجلة من الحفلات الحيّة التي كانت تقام على مسارح كبيرة في مختلف البلدان العربية وخاصة في مصر، حيث كانت هذه المسارح تعج بعشرات المطربين والمطربات الذين نالوا شهرة كبيرة في نهاية الستينات واستمرت مع بعضهم حتى منتصف التسعينات. هؤلاء الفنانون والفنانات كانوا بمثابة بداية النهاية للعصر الذهبي للموسيقى والأغنية العربية، فهم حقيقة نهاية لمرحلة غنائية يفخر فيها كل عربي محب وعاشق للتراث والفن العربي الراقي بداية ب عبدو الحامولي ومحمد عثمان وأبو العلا محمد وسيد درويش وزكريا أحمد وامتدادا لمن بعدهم ممن حملوا الراية (مع بعض التجديد) مثل محمد فوزي و محمد عبد الوهاب و أم كلثوم وفريد الأطرش و عبد الحليم حافظ، ثم جاءت المرحلة الختامية لهذا النوع من الغناء الطربي والرومانسي لتقول وداعا للأغنية الاوركستراية الطويلة بفنانين أمثال نجاة الصغيرة وفايزة أحمد وسعاد محمد وعفاف راضي ووردة الجزائرية وغيرهم الكثير في فترة السبعينات. هؤلاء كانوا بمثابة مرحلة جديدة متطورة ونهائية والتي كانت تمهيدية للفترة التي تلتها من مطربين الأغنية السريعة الإلكترونية الهشة! حتى أن وردة الجزائرية نفسها، لم تقدر على مقاومة موجة الغناء السريع الصاخب والملوّن بألوان فاقعة، الغاية منها الظهور ومحاولة البقاء في الوسط الفني حتى لو كان دون المستوى المتعارف عليه في السنين السابقة. كانت وردة في بدايتها الفنية تخطو نحو القمة وخاصة بعد زواجها من بليغ حمدي والذي لحن لها أجمل أغانيها مثل أغنية "العيون السود"، "مالي وانا مالي"، "دندنه"، "قلبي سعيد" و"أسمعوني" ورائعة سيد مكاي "أوقاتني بتحلو". كل هذه الأغاني الجميلة ساعدت الفنانة وردة على الارتقاء والصمود في وجه عاصفة الأغنية الشبابية السريعة والديناميكية والتي تحاكي العين والجسد الخالية من الروحانية. وردة الجزائرية مع بليغ حمدي قدموا أغنيات تتناسب مع الذوق الفني العام في ذلك الوقت وحتى يومنا هذا. فألحان بليغ لوردة جاءت مناسبة لنوعية صوتها ومداه، وهذا بالتالي أضاف وردة الى قمة المغنين على مدى أكثر من 30 سنة من العطاء. رحم الله وردة ورحم الله كل الذين قدّموا فنا غنائيا جميلا على مدار تلك السنوات وما سبقها ورحم الله الأغنية العربية بعد وفاة كل هؤلاء الذين حافظوا على الفن العربي سواء كانوا ملحنين، شعراء، موسيقيين أو مطربين ورحمنا الله جميعا.